



# الْبَحْثُ التَّقْدِي فِي الْعُلُومِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ

## مُدَاخَلَاتٌ شَرْقِيَّةٌ - غَرْبِيَّةٌ عَابِرَةٌ لِلاِخْتِصَاصَاتِ

تحرير: روجر هيكونك، إدوارد كونت، مجدي المالكي، راند بدر

معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية - جامعة بيرزيت  
معهد علم الإنسان - الأكاديمية التماسوية للعلوم

2011

  
معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية  
Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies

  
جامعة بيرزيت  
BIRZEIT UNIVERSITY

# الْبَحْثُ النَّقْدِيُّ فِي الْعُلُومِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ مُدَاخِلَاتُ شَرْقِيَّةٍ - غَرْبِيَّةٍ عَابِرَةٌ لِّلَاخْتِصَاصَاتِ

تحرير:

روجر هيوك، إدوارد كونت،

مجدي المالكي، رائد بدر

ترجمة إلى العربية: اليز اغازريان ( فصول 1 - 6 و الخاتمة)،

رائد بدر (فصل 10)

تدقيق لغوي

عبد الرحمن ابو شمالة

معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية - جامعة بير زيت

معهد علم الإنسان - الأكاديمية النمساوية للعلوم

رام الله

2010

## قائمة المحتويات

00	إدوارد كونت وروجر هيوكوك	عوائقُ بناءِ المنهج، مقارباتٌ زمكانيةٌ ونهايةُ البداية	الفصل الأول
00	لالة خليلي	أخلاقياتُ البَحْثِ في العلومِ الاجتماعيّة	الفصل الثاني
00	إسماعيل الناشف	صَمْتُ الطّواهر: مُقارباتٌ في سُؤالِ المنهج	الفصل الثالث
00	اليزابيت بيكار	علمُ الاجتماعِ التّاريخيِّ وتجددُ العلومِ الاجتماعيّة	الفصل الرابع
00	يوسف كورياج	نَهْجُ الكميّةِ مُقابلِ النّوعيّةِ في الدّيموغرافيا	الفصل الخامس
00	أندريه جينغرخ	المُقارنةُ الأنثروبولوجيّةُ كمنهجٍ بحثيٍّ في شبه الجزيرة العربيّة: مفاهيم، ونماذج، وحالة دراسية	الفصل السادس
00	مجدي المالكي	أَنْ تَبْحَثَ فِي ظِلِّ بَيْئَةٍ غَيْرِ مُلائمةٍ للبحث "الحالةُ الفِلسطِينيّة"	الفصل السابع
00	برنارد بوتيفو	مُرهاناتُ القانونِ واستخداماتُه في العلومِ الاجتماعيّة نظرةٌ في التّجربةِ الفِلسطِينيّة	الفصل الثامن
00	نهضة شحادة	تَجَلّياتُ قانونِ الأسرةِ الإسلاميِّ في أوروبا	الفصل التاسع
00	غسان العزي	أزمةُ المنهجيةِ في المنشوراتِ العربيّة "لبنانُ .. نموذجا"	الفصل العاشر
00	روجر هيوكوك	إعادةُ مُراجعةٍ "أطروحات حول فيورباخ"	خاتمة

## أَنْ تَبْحَثَ فِي ظِلِّ بِيئَةٍ غَيْرِ مُلائِمَةٍ لِلْبَحْثِ "الحالة الفلسطينية"

د. مجدي المالكي  
جامعة بيرزيت

كل بيئة بحثية هي عضية على البحث بشكل من الأشكال، ويمكن أن تكون معادية إذا لم يُهيأ الباحث لدخولها جيداً، وإذا لم يكن الباحث على دراية جيدة ومسبقة بالعوائق التي يمكن أن تعترضه، كالاتقسامات السياسية والطبقية، والتناقضات المصلحية، والعادات والتقاليد، والثقافة السائدة ... الخ. ولذلك، فإن أهمية دراسة البيئة المعادية للبحث لا تنحصر فقط في كونها مشكلة تقنية أو فنية أو أخلاقية، إذ لا بد للباحث أن يتجاوزها، أو أن يعي مسبقاً تأثيراتها على البحث ونتائجه، بل تكمن الأهمية الأكبر في كون أن هذه البيئة هي بحد ذاتها مصدراً مهماً للمعلومات، التي ينبغي أن تدمج في التحليل بدراسة تفاعلها مع العوامل والمتغيرات الأخرى.

وفي الحالة الفلسطينية، هناك العديد من العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية المؤثرة على الباحث والمناهج والتقنيات البحثية المستخدمة، والتي غالباً ما يتم إهمالها، وبخاصة عند تدريس مناهج البحث في الجامعات والمراكز البحثية، ما يؤثر بشكل كبير على نتائج البحوث ومصداقيتها.

يمكن تسمية مجموعة العوامل التي تؤثر سلباً في الحالة الفلسطينية على الباحث والمناهج والتقنيات البحثية التي يستخدمها، بالبيئة غير الملائمة للبحث. هناك العديد من الدراسات التي تناولت بعض هذه العوامل بتسميات متنوعة وفي سياقات مختلفة. ففي كتاب "في وطني أبحث: المرأة العربية في ميدان البحوث الاجتماعية"، يتم نقاش مسألة منهجية أساسية في علم الاجتماع، تتعلق ببناء المعرفة وإنتاجها، وهي: مدى تأثير البحث الميداني بخاصيات الباحث، تبعاً لحقيقة أن الباحث الاجتماعي هو نفسه كائن ثقافي، لخلفياته أثر كبير في ما يتجمع له من معلومات وبيانات. وتطلق الباحثات المساهمات في هذا الكتاب من أن مشكلة التحيزات للنوع الاجتماعي (للجنس) ودلالاتها في عملية الوصول إلى المعلومات، تؤثر بشكل كبير على النشاط البحثي الميداني، وبخاصة في المجتمعات التي تتميز بدرجة عالية من الفصل بين الجنسين.

وفي سياق دراسات أخرى، يتم اعتماد مصطلح "البيئة المعادية للبحث"، للإشارة إلى العوامل المعيقة للعمل البحثي الميداني. وتعرّف هذه الدراسات البيئة المعادية للبحث بأنها تلك البيئة التي يتم فيها رفض إجراء البحث بشكل كامل لأسباب متعددة ومتنوعة، وليس فقط امتناع المبحوثين عن التعاطي إيجاباً مع النشاط البحثي في مراحلها المختلفة. وفي حالة تنفيذ البحث، فإن هذه البيئة تحاول الهيمنة على مجريات البحث في مراحلها المختلفة، وصولاً إلى تحديد التوجهات العامة للنتائج.

بعض الدراسات الأخرى تستخدم مصطلح "المنفذ المغلق" (Closed Access)، للإشارة إلى مجمل الصعوبات التي تواجه الباحث أثناء سعيه للوصول إلى البيانات المطلوبة للبحث ومصادر المعلومات. وتتعلق المنافذ المغلقة غالباً بحجب مصادر المعلومات عن الباحثين لأسباب عديدة، يعود بعضها لعدم ثقة المبحوثين بالباحثين والمؤسسات التي تجري البحث، أو لطبيعة المواضيع المبحوثة، أو لطبيعة المبحوثين أو المؤسسات المبحوثة التي لديها معلومات حساسة لا يمكن تقديمها للباحثين بسهولة. وتشير هذه الدراسات إلى أن تدليل هذه الصعوبات يملي على الباحثين ضرورة استخدام وسائل وتقنيات بحثية مرنة وقابلة للتفاعل مع هذه الصعوبات.

اخترنا في هذه المقالة تسمية مجموعة العوامل المؤثرة سلباً على الباحث ومناهج البحث التي يستخدمها بـ"البيئة غير الملائمة"؛ كونها تتعلق، في السياق الفلسطيني، بالظروف الموضوعية أساساً التي تؤثر في العملية البحثية، وبخاصة الظروف السياسية التي تؤثر على مناحي الحياة كافة، بما في ذلك الإنتاج المعرفي. وبالتالي، لا تقتصر هذه العوامل على الباحث فقط وتحيزاته الأيديولوجية والفكرية. كما لا تتعلق بسلوكيات الممانعة لدى المبحوثين وعدم تجاوبهم لأسباب ذاتية. فهناك مجموعة واسعة ومعقدة ومتشابكة من العوامل الموضوعية، كالظروف السياسية، والبنى المؤسساتية والاجتماعية والثقافية، التي تتفاعل مع العوامل الذاتية الخاصة بالباحث والمبحوثين، التي تؤثر على الباحث ومجريات بحثه ونتائجه. ولا يمكننا فصل تأثيرات هذه العوامل عن بعضها البعض إلا لأسباب إجرائية، وهذا ما سنقوم به في هذه المقالة.

لذا، سيقصر نقاشنا في هذه المقالة على العناصر المختلفة التي تشكل مجموعها ما نسميه بالبيئة غير الملائمة للبحث، والتي تتميز بها الحالة الفلسطينية. وسنوضح كيفية تأثير هذه العناصر على الباحث في المجتمع الفلسطيني، ومناهج البحث وتقنياته التي يستخدمها.

في هذا السياق يمكننا القول أن المجتمع الفلسطيني يشكل تحدياً تحليلياً وبحثياً استثنائياً، حيث أن مزيجاً من ستة عوامل يؤثر بشكل كبير على أي نشاط بحثي فيه. وهذه العوامل، هي:

1- التغيير السريع في الميدان بسبب عدم الاستقرار السياسي، وخضوع المجتمع الفلسطيني لحروب متتالية ولوتائر متفاوتة من الصدمات والمواجهات العسكرية مع الاحتلال، تشد أحياناً فتصل إلى درجة الحرب،

- وتنخفض أحياناً أخرى لتصل إلى درجة الصدمات العسكرية أو المدنية. وتتفاوت هذه المواجهات من منطقة إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى، بالإضافة إلى النزاعات والانقسامات السياسية الداخلية.
- 2- تشتت المجتمع الفلسطيني وتشرذمه جغرافياً واجتماعياً، مع ما يتبع ذلك من عدم تواصل في البنى الاجتماعية التقليدية، وتنوع في التركيبة السكانية، وتمايز مناطقي كبير.
- 3- ضعف التزام الباحثين بالحيادية والموضوعية العلمية في ظل احتدام الانقسامات السياسية والأيدولوجية، كالتي تسود في الأراضي الفلسطينية اليوم.
- 4- الاختلاف والتضارب في مصادر البيانات ومضامينها، والنتائج عن غياب المركزية والسياسات الوطنية الموحدة الموجهة للأبحاث، وضعف السلطة الوطنية الفلسطينية وحدثة تجربتها في مجال الأبحاث والأرشفة، وفقدان السلطة الوطنية للسيادة الكاملة على بعض أراضيها ومعاييرها.
- 5- عدم توفر بيانات في مجالات عديدة، بسبب غياب الدولة، وفقدان السيادة الكاملة على الأراضي الفلسطينية كافة، وعلى المعابر وغيرها، ولأسباب تتعلق بطبيعة عمل المؤسسات البحثية الفلسطينية.
- 6- ضعف الدعم الوطني للأبحاث، والاعتماد بشكل كامل على الدعم الخارجي في تمويلها، الأمر الذي يفرض أحياناً مواضيع ومنهجيات بحثية محددة على الرغم من جهل هذه الجهات بتفاصيل الظاهرة المبحوثة.

وبينما يمكن العثور على أحد أو بعض هذه العوامل في أمكنة أخرى من العالم، فإن تضافر هذه العوامل مجتمعة في الحالة الفلسطينية، يضيف عليها خصوصيتها الفريدة، التي تشكل تحدياً أمام الباحثين اليوم. كما أن مجمل هذه المحددات الموضوعية، وكيفية تعامل الباحث معها، تجعل من كل تجربة بحثية فلسطينية مغامرةً جديدةً يخوضها الباحث، باعتبار أن وضع الفرضيات العلمية، والتحقق منها في العلوم الاجتماعية، يعتمدان على عوامل مركبة ومعقدة لا تدخل جميعها وبالضرورة في إطار العلم.